إحسان عبد القدوس
ثائر على النقاد !

رأيت اليوم إحسان عبد القدوس وهو يغلى من الغضب، وعندما يغضب إحسان تتقلص عضلات وجهه، وتتناثر الألفاظ من فمه كما لو كانت شظايا ! وتصاب حروف الكلمات بانتفاخ شديد.. فإذا الذال كالظاء، والسين كالصاد، والدال كالضاد وحرف الراء كحرف الغين !

قال إن النقاد يتعقبونه بالهجوم والتجريح، فهم يتهمونه بأنه يعمد فى قصصه إلى الإثارة الجنسية، وأنه بهذه الطريقة استطاع أن يجمع حوله كل القراء المراهقين.. وهؤلاء النقاد يكيلون له الاتهامات جزافًا، فكثيرون منهم لم يقرءوا له عملاً كاملاً، ومع ذلك استباحوا لأنفسهم أن يرموه بشر التهم !

وقلت لإحسان : لا ينبغى للمفكر أن يضيق بالنقد. مهما يكن قاسيا. قال إننى لا أبالى القسوة، ولكنى أكره الظلم والنقاد الذين تصدوا لأعمالى بالهدم لم يكونوا قساة، ولكنهم

كانوا ظالمين! وضرب مثلاً على هذا الظلم بما كتبه عنه الدكتور مندور. وقال لقد سبق للدكتور مندور أن اتهمنى بأنى اقتبست قصتى القصيرة «دعنى لولدى» من الكاتب العالمى ستيفان زفايج، وقد رددت على نقده بأسلوب اعتمدت فيه على المنطق، وكل الذين اطلعوا على ردى اقتنعوا بأنى لم أقتبس القصة من أحد، وأن فكرة غيرة الطفل على أمه من عشيقها، وهى الفكرة التى عالجتها فى قصتى، بعيدة فى سياقها، وتفصيلاتها، وجوها، عن الفكرة التى عالجها زفايج. وقد اعترف مندور بأنى تناولت الفكرة بأسلوبى الخاص، وطابعى الذى تميزت به وما هو الفن؟ إنه أسلوب وطابع. والقصة الجديرة بالبقاء هى القصة القائمة على أساس فنى صحيح، ولو تشابهت مع غيرها. والقصة التى لا تبقى هى القصة القائمة على أساس زائف، ولو احتوت على أشياء لم تخطر ببال أحد.

وقال إحسان إنه تحمس للرد على مندور، واعتزم أن يطالب الجريدة بنشر قصته وقصة زفايج فى صفحتين متقابلتين، ليستطيع القراء أن يحكموا له، أو يحكموا لمندور.. ولكنه وجد أن نقد مندور وإن كان ينطوى على تجن وتحامل،

فهو أيضًا ينطوى على تراجع وتأنيب ضمير.. فقد أصر على اتهامه فى صخب وضجة، ثم لم يلبث أن تراجع فى هدوء. وتحصن أمام قرائه بالعبارات التقليدية مثل الإطار العام، والطابع الخاص!

إن الدكتور مندور قد اقتنع بأنه ظلمنى فى الاتهام الذى وجهه لى، وكل ما فى الأمر أنه عز عليه أن ينفى الاتهام أو يسحبه.

والشعور الذى ينتاب إحسان عبد القدوس من النقد، هو شعور أكثر المفكرين والفنانين.. فهناك عداء طبيعى بين النقاد، وبين المفكر والفنان، المفكرون والفنانون يرون أنهم لو لم يكونوا لما كان النقاد.. فهم لا يخلقون الأثر الفنى وحده، ولكن يخلقون الناقد أيضًا! وإلا فكيف يوجد الناقد إذا لم يجد ما ينقده؟ ولهذا يؤلمهم أن يتعالى النقاد عليهم.. لأنهم خالقون، والنقاد مخلوقون!.

أما النقاد فهم يرون أنهم العلماء، والمثقفون، وأن المفكرين والفنانين ليسوا إلا مواهب تحتاج إلى تبصير بالعلم والثقافة والتوجيه، وهى أشياء تفرغ لها النقاد، ولا يستطيع

المفكرون والفنانون أن يجاروهم فى العلم والثقافة؛ لأن هذه المجاراة لا تدع لهم وقتًا للخلق والإنتاج!

ولا أنكر أن النقاد كثيرًا ما يجنحون فى نقدهم إلى القسوة والظلم والتجنى. ولكن هذا الجنوح يفيد العمل الفنى الأصيل. وكم نسمع من فنان أن النقاد تآمروا عليه وهاجموه.. وعندى أن التآمر بالكلمة أهون من التآمر بالصمت!

وما تعانيه نهضة المسرح والسينما والشعر فى بلادنا ليس مبعثه هجوم النقاد عليها، ولكن مبعثه تجاهلهم لهذه النهضة، ومواجهتهم لها بالصمت العميق! وكيف يتكلمون، وقد بلغت الحساسية بممثلينا، وشعرائنا، حد البكاء والعويل من أى نقد لا ينتهى بتضفير أكاليل الغار على كل مسرحية وكل فيلم، وكل ديوان شعر جديد!

وقلت لإحسان: لتكن لك أسوة فى أستاذنا سقراط.. لقد اتهمه حكام أثينا بإفساد الشباب بآرائه، وسقوه السم!

وقال إحسان: لقد كان سقراط فيلسوفًا.. وأنا لست بفيلسوف إننى فنان أعيش بأعصابى فدعوا لى أعصابى كى

أعيش وأعمل. إننى أحب الفن وأكره الفلسفة.. وعندما أصبح فيلسوفًا اشنقونى ! !

طه حسين يرمينى فى جنة الشوك..!

لم أتصور أن الكلمة التى كتبتها عن الفقر الذكى والثراء الغبى ستثير السخط على شخصى بهذه الصورة.. لقد اتهمنى الأغنياء بتحريض الفقراء عليهم، واتهمنى الفقراء بأنى أحاول تخديرهم بكلام لا يسمن ولا يغنى من جوع !

أما أستاذنا الدكتور طه حسين، فهو الوحيد الذى برأنى من التحيز للأغنياء، أو التعصب للفقراء، واكتفى بأن جعلنى من إخوان الشياطين.. تطبيقًا للآية الكريمة التى تقول : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾.

ولقد خصنى بكلمة من كلماته اللاذعة التى اختار لها عنوان «من جنة الشوك» وهذه هى الكلمة :

* * *

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : ألم تقرأ ما كتبه

الأستاذ كامل الشناوى فى « الجمهورية » أمس وأنبأنا فيه بأن يده لا تمسك المال إلا كما تمسك الماء الغرابيل.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : لو قد أكثر قراءة القرآن لصد عن ذلك صدودًا، ولأنفق حين يحسن الإنفاق واقتصد حين يجب الاقتصاد.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : وما ذاك !

وقال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : وأنت أيضًا لا تقرأ القرآن. ألم تسمع قول الله عز وجل : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا﴾. وقوله عز وجل قبل هذه الآية : ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا﴾.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لقد هممت أن أذهب مذهب الأستاذ كامل الشناوى.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : إياك أن تفعل فإن الله عز وجل قد وصف عباده الذين أخلصوا قلوبهم له فقال فى بعض وصفهم : ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان

بين ذلك قواما﴾. فاحرص جهدك على أن تكون من هؤلاء.

وقد كتب الدكتور طه على هامش كلمته، هذه العبارة «لا تنشر وإنما تعرض على كامل الشناوى»

ولكنى لم أستطع أن أطوى الكلمة، وهأنذا أنشرها فى اليوميات، لأتيح للقراء أن يرون، وقد أمسك بى الدكتور طه ورمانى فى جنة الشوك!

وكل ما قاله الدكتور طه لا يخضع للجدل، فهو من صميم القرآن الكريم الذى أحفظه وأؤمن به. وأعترف بأنى أفهم بمنطق العقل، مدلول ما ورد فى كتاب الله عن التبذير والمبذرين.. ولكن منطق العقل يتعارض أحيانًا مع منطق السلوك!

ولقد قادنى سلوكى بمنطقه الخاص إلى أن أبذر فى إنفاق المال، وهو منطق يقوم على أن التبذير الذى يجعلنى من الشياطين، أو إخوان الشياطين، ليس هو التبذير فى المال بالإنفاق، ولكن التبذير فى العمر بالحرمان من المتاع الحلال.. والحرمان يقتضى التقتير فى الإنفاق، وهكذا يصبح لرصيد

الحياة، وهو شر أنواع التبذير والتبديد!

كان هذا منطق سلوكى فى فهم التبذير، وهو منطق يتعارض مع منطق العقل.. إن كان ذنبًا فأنا التلميذ الفتى لم أقع فيه وحدى.. ولكن وقع فيه أيضًا الأستاذ الشيخ!

وإلا فليقل لى أستاذنا وشيخنا طه حسين ماذا جمع من المال؟ وماذا اقتنى غير البيت الذى يسكنه الآن، وكان إلى سنوات قليلة مضت يستأجر السكن وينفق عرق جبينه على الديون!

ماذا جمع طه حسين؟ ماذا جمع الرجل الذى ملأ الدنيا، وشغل العالم، وربح مئات الألوف من الجنيهات؟

وليسمح الدكتور طه أن أستعير أسلوبه فى جنة الشوك، وأختم به كلمتى على هذا النحو:

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ: أليست هذه حقيقة.. حقيقة تؤلمك!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: إنها لا تؤلمنى.. إنها تشرفنى.!